

أهل السنّة في لبنان

علي حسين باكير

كاتب وباحث سياسي

ملخص الدراسة

لعب سنّة لبنان دورًا مهمًّا في حياة الدولة اللبنانية منذ تأسيسها، فكانوا أكثر حرصًا من غيرهم على وحدة البلاد وتطورها، كما كانت لهم دومًا كلمتهم في مواجهة العدو الإسرائيلي. لكنّ وضعهم الداخلي لطالما اتّسم بالضعف؛ نتيجةً لاغتيال رموزهم ومرجعياتهم، ولعدم انتقال عدوى وحساسية «الطائفية» إليهم، لكنّ الطعنات المتتالية جعلتهم يشعرون أنّهم مستهدَفون، مع ما يترتب على ذلك من شعور بالقهر والظلم والخذلان وعدم النصرة.

وكان لعلاقة أهل السنّة بزعمائهم، وممثليهم على الصعيدين السياسي والديني، وضع خاص، ما دفعهم منذ وقت بعيد إلى السعي لتثبيت قوّة تمثيل مرجعياتهم السياسية والدينية. في وقت كانوا فيه في مرمى جميع القوى الدولية والإقليمية، خاصّة الولايات المتّحدة وإسرائيل وسوريا. وقد بقي سنّة لبنان خارج المعادلة بفعل المؤامرات الداخلية والخارجية إلى أن تم التوصل إلى اتفاق الطائف.

ورغم أن توقيع اتفاق الطائف أدى إلى تعديل صلاحيات رئيس الحكومة فيما بدا وكأنّ نصرًا سياسيًّا تحقق لصالح أهل السنّة، لكن سوريا عملت على تقويض هذه الصلاحيات، فعاد الصراع الداخلي من جديد، حتى مجيء رفيق الحريري إلى رئاسة الوزراء وتسليطه الضوء على موقع السنّي في التركيبة السياسية اللبنانية، بما يتمتع به من علاقات سياسة واقتصادية واسعة.

ومع وصول النفوذ الحريري إلى قمّته في لبنان وخارجه، تم اغتياله بعملية تفجيرية هائلة، لتجد الطائفة السنيّة نفسها تحت الأضواء؛ نتيجة فقدانها الرمز الذي طالما كانت تسعى إليه، ما أعاد إليها ذاكرة المؤامرات التي استهدفتها عبر اغتيال رموزها وأعمدتها السياسية والدينية، ما أدى لاشتداد العداء للنظام السوري، وبالمقابل ازدياد قاعدة تيار المستقبل السنية، وازدياد الوعي بعدم التفريط بالحقوق، والالتفاف حول مركز رئيس الوزراء كمرجعية سياسية، وإيلاء اهتمام أكبر بموقع مفتي الجمهورية.

إن السنّة يواجهون في المرحلة المقبلة تحدّيات جِسام ليس أقلّها اتساع دائرة الخطر التي تمثّلها على الصعيد الداخلي بعض القوى والأحزاب والطوائف التي تعمل على العبث بمصير ومقدّرات أهل السنّة والجماعة تحت شعارات متعدّدة ومختلفة، وبكافة الوسائل الإعلامية والمالية والتنظيمية، وحتى بالقوة العسكرية والسلاح، وهم يحتاجون إلى تعزيز وعيهم بهذا الخطر، والعمل على احتوائه.



أهل السنّة في لبنان

علي حسين باكير
كاتب وباحث سياسي

تمهيد

لطالما انعكس الوضع العربي على وضع الطائفة السنيّة في لبنان خلال العقود الماضية، وقد لعب سنّة لبنان الذين اعتبروا أنفسهم امتدادًا للعمق العربي والإسلامي دورًا مهمًّا في حياة الدولة اللبنانية منذ تأسيسها وحتى اليوم، كما كانت لهم كلمتهم في مواجهة العدو الإسرائيلي على الدوام. لكنّ وضعهم الداخلي لطالما اتّسم بالضعف؛ نتيجةً لاغتيال رموزهم ومرجعياتهم من جهة، ولعدم انتقال عدوى وحساسية «الطائفية» الموجودة في الطوائف اللبنانية الأخرى بقوّة، على اعتبار أنّ عمقهم العربي هو في نفس الوقت عمقهم السّني، لكنّ الطعنات التي تلقوها لاسيما خلال فترة الوجود السوري في لبنان وإثر اغتيال الحريري، قد ساهمت في تغيير بعض الخصائص المميزة لهم، فهم باتوا يشعرون أنّهم مستهدَفون؛ مع ما يترتب على ذلك من شعور بالقهر والظلم والخذلان وعدم النصرة.

من هذا المنطلق، نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على وضع الطائفة السنيّة في لبنان، وذلك من خلال الاعتماد على «المنهج المتكامل»، والذي يقوم على المزج بين العمق الذي يتيحه المنهج التاريخي، والشمول الذي يعطيه المنهج الوصفي التحليلي، وذلك في محاولة للإحاطة بالدراسة موضوع البحث، من خلال الإحاطة بمختلف التطورات التي لحقت بها منذ استقلال لبنان، وحتى يومنا هذا. وتقسم الدراسة إلى أربع نقاط أساسية، يسبقها تمهيد، ويليها خاتمة، وذلك على الشكل التالي:

أولاً: دور أهل السنة تاريخيًّا في لبنان وعلاقتهم بمرجعياتهم:

ويتضمن هذا المحور شرحًا لدور أهل السنة في لبنان وتوجهاتهم العامة منذ الاستقلال، بالإضافة إلى علاقة أهل السنّة بزعمائهم، وبممثليهم على الصعيدين السياسي والديني، وعددهم وتوزعهم الجغرافي.

ثانيًا: واقع أهل السنّة في لبنان (قبل وبعد اتفاق الطائف ١٩٨٩م):

ويتضمن هذا المحور تسليطًا للضوء على على واقع أهل السنّة في لبنان قبل وبعد اتّفاق الطائف، وعلى موقعهم في الصراع على الصعيد الداخلي والخارجي خلال تلك الفترة، وفي أجندات القوى الدولية والإقليمية.

ثالثًا: التحولات التي طرأت على أهل السنة في لبنان بعد اغتيال الحريري:

ويتضمن هذا المحور شرحًا لأهم التحولات التي أصابت الطائفة السنيّة، والكيفية التي تبلورت عليها، ونتائجها على الوضع داخليًّا، وعلى نظرة الطائفة السنيّة لموقعها ودورها في لبنان، والهواجس والمخاوف التي طالتها إثر عملية الاغتيال لموقع وشخص ممثلها السياسي.



رابعًا: خلاصة عن عناصر الضعف والقوة لدى الطائفة السنيّة:

ويتناول هذا المحور هذه العناصر، والتي أظهرتها الأحداث الأخيرة، وسلّطت الضوء عليها، (منها اعتداء حزب الله في ٧ آيار على أهل السنّة أهل بيروت، واستهداف حلفائه للطائفة السنيّة) ليصار بالتالي إلى الإلمام بها ومحاولة معالجتها.

وأخيرًا الخاتمة.

أولاً: دور أهل السنة تاريخيًّا في لبنان وعلاقتهم بمرجعياتهم:

لم يكن لبنان، بحدوده الحالية، ومساحته البالغة ١٠٤٥٢ كيلو مترًا مربعًا، بلدًا معروفًا قبل ٣١ أغسطس ١٩٢٠م، تاريخ إعلان الجنرال «غورو» الفرنسي دولة لبنان الكبير، حيث ضمَّ إليه -وفق القرار الشهير ٣١٨- ولاية بيروت مع أقضيتها وتوابعها (صيدا وصور، ومرجعيون وطرابلس، وعكار) والبقاع مع أقضيته الأربعة (بعلبك، والبقاع، وراشيا وحاصبيا)، فاتسعت مساحته من ٣٥٠٠ كيلو مترًا مربعًا إلى ١٠٤٥٢ كيلو مترًا مربعًا، وازداد سكانه من ٤١٤ ألف نسمة إلى ٦٢٨ ألفًا.[١]

أما قبل ذلك التاريخ فكان هذا البلد جزءًا من أراضي سورية، يُطلق عليه اسم «جبل لبنان»، ويضمّ قسمًا من سلسلة جبال لبنان الغربية، امتدت من بلدة بشرى شمالاً حتى بلدة جزين جنوبًا. وقد شكَّل هذا البلد الصغير مع سورية والأردن وفلسطين بأشكالها الحالية ما يُعرف في التاريخ الإسلامي ببلاد الشام، تلك الأرض الإسلامية التي مدحها رسول الله -صلى الله عليه سلم-، وذكر محاسنها إلى قيام الساعة.

تاريخيًّا لم يكن أهل السنة في لبنان يؤيدون انفصال المناطق العربية عن السلطنة العثمانية في أوائل القرن العشرين، بل طالبوا بإجراء إصلاحات داخلية تؤمن مشاركة أكثر للعرب في حكم هذه السلطنة.[٢]

فالمسلمون أهل السنّة والجماعة هم الذين أقاموا نظام الدولة الإمبراطورية التي كانت تجمع مصر وبلاد الشام والمغرب العربي، وقد اعتاد السنيّ منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة على هذا النظام الوحدوي، ولم يتخل عنه مطلقًا، وبالرغم من إعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، ومن ثمّ إعلان الجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦م، فقد حرص السنة على إعلان رفضهم الشديد للانفصال عن سوريا الطبيعية، لذلك عقدوا بين عامي ١٩٢٠ و١٩٤٣م مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة الوحدوية؛ رفضوا من خلالها الانفصال عن سوريا الكبرى إلى أن جاءت التسوية عام ١٩٤٣م بين الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح، متضمنة اعتراف المسلمين عامة، والسنّة خصوصًا، بهذا الكيان الجديد، بشرط تحقيق العدل والمساواة بين الجميع في الدولة اللبنانية.[٣]

وعلى الرغم من أنّ ذلك لم يحصل نتيجة لاستئثار المسيحيين الموارنة بمفاصل الدولة آنذاك، إلاّ أنّ السنة أصبحوا أكثر حرصًا من غيرهم على وحدة البلاد وتطورها، واستمرارها على قاعدة أنها جزء من المحيط العربي الإسلامي السني، وأنّهم امتداد وجزء لا يتجزأ من الأمة العربية والإسلامية، وهذا ما يفسِّر تفاعلهم مع قضايا هذه الأمة، فكانوا كلما أُوقدت نار للعروبة أو للإسلام في ديار العرب والمسلمين هبوا لنصرتها وتبني مبادئها.[٤]

أ- علاقتهم مع مرجعياتهم:

يتبع السنّة في لبنان، تقليديًا، مرجعيتين أساسيتين، الأولى سياسية تمثّلها بعض العائلات الشهيرة التي كان لها دور كبير في تمثيل السنّة على الساحة السياسية

(١) للتفاصيل عن إعلان دولة لبنان الكبير، انظر: غسان عيسى، العلاقات اللبنانية - السورية، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنصر، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٧.

(٢) نهى قاطرجي، طوائف لبنان والمشي فوق الألغام، النسخة الإلكترونية، ص٢-٣..

(٣) راجع: الطائفة السنيّة أمام عواصف المتغيرات، دولة الطوائف.. والرئاسة، المركز العربي للمعلومات، بيروت، العدد ٥٠، يناير ٢٠٠٨م، ص٦٢.

(٤) نهاد قاطرجي، مرجع سابق.



في لبنان منذ الاستقلال، وحتى اليوم، وغالبًا ما يمثلها موقع رئيس مجلس الوزراء. وهو أعلى منصب سياسي لتمثيل السنّة في لبنان، أُسند منصب رئيس الوزراء إثر الاستقلال إلى الطائفة السنيّة، حيث كرّس العُرف الدستوري والميثاق الوطني الذي اعتُمد في العام ١٩٤٣م منصب رئاسة الوزراء للسنّة، وهو يأتي ثالثًا في سلّم التراتبية في مناصب الدولة بعد منصب رئيس الجمهورية الذي أُسنِد إلى المسيحيين الموارنة، ومنصب رئيس المجلس النيابي التشريعي الذي أُسند إلى الشيعة.

ساهم تعدد الولاءات والانتماءات في إضعاف السنّة داخليًا، وإن لم يكونوا يأبهون لذلك كثيرًا على اعتبار أنّ لهم عمقًا عربيًّا وإسلاميًّا على امتداد الوطن العربي

والثانية دينية ممثلة في مفتي بيروت، أو ما عرف فيما بعد بمفتي الجمهورية الدينية؛ حيث يدير شئون الطائفة من الناحية الدينية، ويمثلها ضمن هذا الإطار حاليًا المفتي محمد رشيد قباني الذي عيِّن في عام ١٩٨٤م أمينًا للفتوى إثر اغتيال المفتي الشهير حسن خالد، ثم تمّ انتخابه مفتيًا للجمهورية في ٢٨ كانون أول ١٩٩٦م.(٥)

وبين هذين الانتماءين هناك عدد من الانتماءات المتنوعة والمتعددة التي تختزلها الأحزاب السياسية أو الدينية التي لها وجودها وتمثيلها على الساحة السنيّة.

وقد ساهم تعدد الولاءات والانتماءات في إضعاف السنّة داخليًا، وإن لم يكونوا يأبهون لذلك كثيرًا على اعتبار أنّ لهم عمقًا عربيًّا وإسلاميًّا على امتداد الوطن العربي، كما أنّ كثيرين منهم كانوا من العائلات الغنية أو الميسورة، فلم تكن تعنيهم هذه الأمور كثيرًا، ولم يكن لديهم عقدة الأقلية أو التهميش، على الرغم من الظلم الذي تعرضوا له على مدى تاريخ الدولة اللبنانية.

ب- عددهم وتوزعهم الجغرافي:

يتوزع السنة في لبنان اليوم بين مناطق غير مرتبطة جغرافيًّا ببعضها البعض، فيتمركزون في محافظة الشمال وبعلبك، والعاصمة بيروت، وشرق البقاع الغربي وصيدا.

(٥) نهاد قاطرجي، مرجع سابق.

والسنة هم الطائفة الأكثر عددًا بين الطوائف الـ١٨، وبحسب إحصاءات غير رسمية فهم يشكلون ما يزيد على ثلث سكان البلاد البالغ عددهم نحو ٤ ملايين نسمة.(٦)

من المعروف أن آخر إحصاء رسمي معلن في لبنان جرى في العام ١٩٣٢م، وتبين من خلاله أن عدد المسلمين هو ٤٦٩,٣٨٦ نسمة بينما بلغ عدد المسيحيين ٩٤٦,٣٩٦ نسمة.

لم يجر إحصاء رسمي بعد ذلك، ما سمح بطرح أرقام غير دقيقة وفق الحاجة السياسية لهذا الطرف أو ذاك، لكن المسلّم به عند الجميع أن لبنان بلد أقليات لا تشكل أية طائفة منفردة فيه أكثرية مطلقة، وأن عدد أبناء الطوائف المسلمة بات أكثر من مجموع الطوائف المسيحية خلافًا لما كانت عليه الحال أيام الانتداب الفرنسي.(٧)

صحيفة اللواء نشرت تحقيقًا في ٢٠٠٦/٧/١٣م للدكتور حسان حلاق أشار فيه إلى أن الطائفة السُنية هي أكبر الطوائف اللبنانية حاليًا، وبالعودة إلى نسبة التزايد السكاني فيها؛ فإنها ستبقى مبدئيًّا كذلك حتى العام ٢٠١٥م.

كما أشار التقرير إلى أن كافة الطوائف الأخرى في لبنان عدا السنة والشيعة في حالة جمود، أو تناقص سكاني نتيجة تركيبتها أو هجرة عائلاتها. أما صحيفة النهار فقد ذكرت غير مرة في العامين الأخيرين أرقامًا للمسيحيين بكافة طوائفهم لا تزيد عن حدود الـ٤٠٪.(٨)

واستنادًا إلى دراسة نشرتها العام الجاري مجلة «الشهرية» الصادرة عن «الدولية للمعلومات» المعنية بالإحصاءات واستطلاعات الرأي، يشكل المسلمون

(٦) تقرير عن السنّة في برنامج بانوراما على فضائية العربية، أزمة الطائفة السنيّة في لبنان؟ ٢٠٠٥/٨/١١م.
(٧) راجع مقال: فادية شامية، ماذا عن الأرقام غير المسئولة للطوائف اللبنانية؟ صحيفة الأمان، ٢٠٠٦/٩/١٥م.
(٨) نفس المرجع السابق.



السنّة ٢٩,٢٤٪ من سكان لبنان، فيما يشكّل المسلمون الشيعة ٢٩,١٧٪.[٩]

وفي غياب الإحصاءات الرسمية عن عدد كل طائفة في لبنان، يمكن اللجوء إلى الأرقام الرسمية المتعلقة بلوائح الشطب الانتخابية للاستدلال على حجم كل طائفة؛ حيث أشارت أرقام وزارة الداخلية في لبنان إلى أنّ الناخبين السنّة للعام ٢٠٠٥م يشكّلون ٢٦,٥٪ من مجمل الناخبين، يليهم الشيعة ٢٦,٢٪ وبعدهم الموارنة ٢٢,١٪.[١٠]

وحسب الجدول الرسمي الذي نشرته جريدة السفير آنذاك، فإن الناخبين السنّة يمثلون نحو ٥٢٪ من ناخبي الشمال و٤٣٪ من ناخبي بيروت، ولديهم وجود لا بأس به في البقاع بنحو ٢٤٪، أما في الجنوب فنسبة ناخبيهم هي ١١,٦٪ فقط، وحضورهم الأقل هو في جبل لبنان بنحو ٨,٢٪ من الناخبين.[١١]

ثانيًا: واقع أهل السنّة (قبل اتفاق الطائف، وبعد اتفاق الطائف)

أ- قبل اتّفاق الطائف:

١- في الصراع على الصعيد الداخلي

يفتخر السنّة أنّهم لم يدخلوا الحرب الأهلية اللبنانية على شاكلة باقي الطوائف، وقد كانت صفحتهم ناصعة، واكتفوا بموقف المدافع، خاصّة بعد أنّ تمّ اتهام الفلسطينيين بأنّهم جيش السنّة في لبنان، وذلك كذريعة للانقضاض عليهم وعلى مناطقهم، وحرمانهم من دورهم الريادي العروبي في لبنان. وإذا عدنا إلى الذاكرة نجد أنه عندما وُجدت محاولة جادة لإقامة تسوية قبل اتفاق الطائف كانت الأطراف المتناحرة في لبنان هي الموارنة والشيعة والدروز، وتمثل ذلك في الاتفاق الثلاثي. والسنة لم يكونوا على هذه المائدة؛ لأنهم لم يكونوا طرفًا في هذا النزاع المسلح، فهم طرف أساسي في الصراع مع إسرائيل، وهم حاضنون للمقاومة الفلسطينية ومؤيدون للوحدة الوطنية، ولم يكونوا في يوم من الأيام طرفًا داخليًّا في النزاع، بمعنى أنهم يريدون العيش منفردين دون سواهم.

يفتخر السنّة أنّهم لم يدخلوا الحرب الأهلية اللبنانية على شاكلة باقي الطوائف، وقد كانت صفحتهم ناصعة، واكتفوا بموقف المدافع

بالنسبة للسنّة تمثّل الصراع على الصعيد الداخلي اللبناني آنذاك في تثبيت قوّة تمثيل مرجعياتهم السياسية والدينية؛ فقد ظلّ موقع رئيس الحكومة منقوص الصلاحيات خلال فترة طويلة؛ نتيجة لاحتكار رئيس الجمهورية (المسيحي- الماروني) لكافة الصلاحية؛ حتى تلك العائدة لرئاسة الحكومة والتعيينات الأخرى، حيث كان يحق له تعيين رئيس الوزراء والوزراء، كما يحق له القيام بإقالتهم جميعًا، الأمر الذي أدّى إلى نشوب العديد من الخلافات في تلك الفترة، حتى قام عديدون بوصف الصلاحيات المعطاة لرئيس الحكومة بمثابة تلك الموجودة عند «الباش كاتب».

ولقد عانى كثيرٌ من رؤساء الوزراء السُّنّة من هذا الأمر، ونذكر من هؤلاء رئيس الوزراء «سامي الصلح» الذي أطلق كلمة (باش كاتب) على رئيس الحكومة، وكان مما قاله[١٢] في مجلس النواب بتاريخ ١٩٥٢/٩/٩م: «إنهم يريدون أن يكون رئيس الوزراء آلة طيّعة في أيديهم لتنفيذ مآربهم، وتحقيق مطامعهم، وخدمة مصالحهم الخاصة، وبما أننا حاولنا أن نحكم ونعيد الحكم إلى السراي، قامت قيامتهم علينا ودبّروا المؤامرات في الغرف السوداء للحيلولة دون تحقيق الإصلاح المنشود».

ومنهم أيضًا الرئيس «رشيد كرامي» الذي قال في بيان الاعتذار بتاريخ ١٩٦٩/١٠/٢٢م: «لكن ليس من

(٩) راجع مقال: أيمن المصري، لبنان منقسم.. حتى في الأعياد!، إسلام أون لاين. نت ٢٠٠٧/١٢/١٧م، على الرابط التالي:
www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout&cid=1196786391375

(١٠) لمزيد من المعلومات حول انتخابات ٢٠٠٥م، راجع ملف الانتخابات النيابية ٢٠٠٥م، وزارة الداخلية اللبنانية، على الرابط التالي:
www.moim.gov.lb/UI/elections.html

(١١) راجع مقال: محسن صالح، السنّة في لبنان وانتخابات المجلس النيابي القادمة، موقع الجزيرة دوت نت، ٢٠٠٦/٢/١٣م، على الرابط التالي:
www.aljazeera.net/NR/exeres/B397EF9C-5AB44-CEE-BC153692-A57E943C.htm

(١٢) نهاد قاطرجي، مرجع سابق.



المعقـول في شـيء أن يحمل المرء مسـئولية مـا لا رأيَ له فيه، ومن باب أولى بأن لا يحمل مسـئولية ما يختلف مع رأيه وتفكيره ومعتقده».[١٣]

٢- في الصراع على الصعيد الخارجي:

كان السـنّة في مرمى جميع القوى الدولية والإقليمية آنـذاك، خاصّـة بالنسـبة للولايـات المتّحدة وإسـرائيل وسـوريا. ويمكـن تلخيـص العناصر الـتي وضعت أهل السنّة تحت مجهر هذه القوى في ذلك الوقت بما يلي:

١- سـنّة لبنـان هم الحاضـن الأساسـي لفكـر ونهج وعقيـدة المقاومة، وتحرير الأراضـي المحتلّة التي تمثّلت بشـكل رئيس آنذاك في المنظمات الفلسطينية الموجودة في لبنان، وقد تعرضّوا لضغوط كبيرة ليتخلوا عن هذا الدور وهذا الموقع.

٢-كون الطائفة السنيّة بمثابة رأس الحربة في مواجهة إسـرائيل، وهي الطائفة الوحيـدة كما ذكرنا التي لم تنخـرط في الحرب الأهلية فيما بعد، ولم يشـغلها ذلك عن العدو الأساس والرئيس لها، والمتمثّل بإسرائيل. أزعج ذلك عددًا من اللاعبين الإقليميين والدوليين. فإسـرائيل أصبحت تخشـى من نفوذ السـنّة المتزايد في لبنان، ومن أنّ أي نجـاح ممكـن أن تحققه في هذا الإطار قد يطلق حملة مقاومة عربية وإسلامية على مستوى العالم العربي بأسره.

أمّـا اللاعـب الإقليمـي الثاني وهو سـوريا، فقد رأت أنّ حالـة الصعـود السـنّي (والتي حُسـب الفلسـطينيون آنذاك من ضمنها) تعتبر حالة شـاذة تضر بالأمن القومي السوري، وتشـكّل -لأسـباب عديدة- تهديدًا لمستقبل النظام السـوري «العلوي»، ومستقبل التهدئة في الجولان مع إسرائيل بعد حرب ١٩٧٣م.

وقـد خضع السـنّة آنـذاك لصفقـة دوليـة وإقليمية، اقتضت إعطاء سـوريا الضـوء الأخضر للتدخّل في لبنان من أجل قمعهم. وهكذا التقت مصلحة إسرائيل وسوريا على حسـاب السـنّة والمقاومة الفلسـطينية، وشـكّل الطرفان كمّاشة مميتة بعد دخول إسرائيل من الجنوب إلى بـيروت عـام ١٩٨٢م، ودخـول سـوريا من الشـمال وهجومها علـى طرابلس عام ١٩٨٣م، وقد أدّى ذلك إلى تدهور كبير في موقع الطائفة السنيّة في لبنان بعد تدخل عسـكري وسياسـي ضدّها، وإلى انكماشها، ومن ثمّ طرد الفلسطينيين، واضطهاد أهل السنّة في لبنان.

وبعـد تصفيـة السـوريين للأرضيّـة السـنيّة الحاضنة للمقاومـة الفلسـطينية، أُوكل تنفيـذ الاضطهـاد، في شـقه اللبناني، إلى حركة أمل الشيعية التي استهدفت المخيمات الفلسـطينية وأيضًا المناطق البيروتية السـنيّة، ومنها منطقة «الطريق الجديدة».

وتمّ محاربـة مفتي الجمهورية اللبنانية الشـيخ حسـن خالـد، والسـعي إلى تقزيمـه عـبر إطلاق صفـة «مفتي الطريـق الجديـدة» عليه قبـل تعرضه للتصفيـة النهائية في عملية اغتيال تلت اغتيال رجل الدين السـني «القوي» الشيخ الدكتور صبحي الصالح.[١٤]

وقـد بقي سـنّة لبنان خـارج المعادلة بفعـل المؤامرات الداخلية والخارجية إلى أن تم التوصل إلى اتفاق الطائف برعاية سـعودية مباشـرة لإنهـاء الحرب الأهليـة وإعادة توزيع السلطة.

ب- بعد اتفاق الطائف وحتى اغتيال الحريري

١- في الصراع على الصعيد الداخلي:

في العام ١٩٨٩م، تم توقيع اتفاق الطائف في المملكة العربيـة السـعودية لإنهاء الحـرب اللبنانيـة، وكان من ضمن هـذا الاتفاق الذي شمل جميع الطوائف اللبنانية، تعديـل صلاحيـات رئيـس الحكومة؛ لكـي يخرج من كونـه مجرد دمية يحرّكها رئيس الجمهورية، ويفرض عليها قراراته.

(١٣) نفس المرجع السابق.

(١٤) راجـع: مقـال: محمـد سـلام، مصارحـة، موقع نـاو ليبانـون، على الرابـط التالـي: http://www.nowlebanon.com/Arabic/NewsArticleDetails.aspx?ID=60792.



صلاحيات رئيس الجمهورية قبل وبعد اتفاق الطائف (دور أكبر لرئيس الحكومة)[15]

المادة	النص السابق	النص الجديد النافذ
٥٢	يتولى رئيس الجمهورية المفاوضة في عقد المعاهدات وإبرامها ويُطلِع المجلسين عليها حينما تمكنه من ذلك مصلحة البلاد وسلامة الدولة.	يتولى رئيس الجمهورية المفاوضة في عقد المعاهدات الدولية وإبرامها بالاتفاق مع رئيس الحكومة. ولا تصبح مبرمة إلا بعد موافقة مجلس الوزراء
٥٣	يعين رئيس الجمهورية الوزراء منهم رئيسًا ويقيلهم، ويولي الموظفين مناصب الدولة ما خلا التي يعين القانون شكل التعيين لها على وجه آخر، ويرأس الحفلات الرسمية.	يسمي رئيس الجمهورية رئيس الحكومة المكلّف بالتشاور مع رئيس مجلس النواب استنادًا إلى استشارات نيابية ملزمة يطلعه رسميًّا على نتائجها، يصدر بالاتفاق مع رئيس مجلس الوزراء مرسوم تشكيل الحكومة ومراسيم قبول استقالة الوزراء أو إقالتهم، يدعو مجلس الوزراء استثنائيًّا كلما رأى ذلك ضروريًّا بالاتفاق مع رئيس الحكومة.
٥٤	مقررات رئيس الجمهورية يجب أن يشترك معه في التوقيع عليها الوزير المختص	مقررات رئيس الجمهورية يجب أن يشترك معه في التوقيع عليها رئيس الحكومة والوزير المختص
٦٤	يتولى الوزراء إدارة مصالح الدولة ويُناط بهم تطبيق الأنظمة والقوانين، كلٌّ بما يتعلق بالأمور العائدة إلى إدارته، وبما خُصَّ به.	يرأس مجلس الوزراء. يوقع مع رئيس الحكومة جميع المراسيم ما عدا مرسوم تسميته رئيسًا للحكومة ومرسوم قبول استقالة الحكومة، أو اعتبارها مستقيلة، يدعو مجلس الوزراء إلى الانعقاد، ويضع جدول أعماله، ويُطلِع رئيس الجمهورية مسبقًا على المواضيع التي يتضمنها، وعلى المواضيع الطارئة التي ستبحث.

وهكذا، بدا وكأنّ نصرًا سياسيًّا تحقق لصالح أهل السنّة في تثبيت صلاحيات القيادة السياسة لهم في نظام الدولة السياسي، لكن الوجود السوري في لبنان كان له تأثير كبير على هذا الوضع؛ حيث عملت على تقويض هذه الصلاحيات، فعاد الصراع الداخلي إلى موقعه من جديد.

وقد جاء رفيق الحريري «فيما بعد إلى رئاسة الوزراء في الفترة من ١٩٩٢- ١٩٩٨م وخلال الفترة ٢٠٠٠- ٢٠٠٤م في محاولة لتغيير هذا الواقع وبطرق غير تصادمية، وقد مثَّل الحريري الذي ينحدر من مدينة صيدا نموذجًا جديدًا للواقع السنّي؛ إذ إنه لم ينحدر من عائلة سياسية، بل خرج من عالم الأعمال، وكان يتميز بالذكاء والعلاقات الواسعة والشخصية المميزة.

كان الحريري يرى مشروعًا لبناء دولة تتخطى بحدودها الطوائف، يكون المحرك الأساسي لها الاقتصاد والعلم والمعرفة، حتى إنّ كثيرين من السنّة ألقوا عليه اللوم لعدم اهتمامه بالطائفة السنّيّة على الشاكلة التي يقوم بها زعماء الطوائف الشيعية والدرزية بالخصوص. في المقلب السنّي كان هناك العديد من وجهات النظر تجاهه، البعض كان يرى أنّ دخوله الساحة السياسية يقلّص من نفوذ العائلات السنّيّة السياسية العريقة كسلام، والصلح، وكرامي، البعض الآخر كان يرى فيه مشروع دولة؛ يمثّل الطموح السنّي العروبي الواسع.

وبغض النظر عن وجهات النظر هذه، فقد استطاع الحريري أن يسلّط الضوء على موقع السنّي في التركيبة السياسية اللبنانية، بما يتمتع به من علاقات سياسة واقتصادية واسعة مع العديد من زعماء العالم، وهو استطاع أن يشكّل في الداخل اللبناني تيارًا يضم شخصيات من مختلف الطوائف اللبنانية «تيار المستقبل»، وأن يخلق ظاهرة «الحريرية»؛ إذ لم تشهد الطائفة السنية في لبنان مثل هذا الامتداد عبر المناطق

(١٥) انظر الدستور اللبناني بجميع تعديلاته على الرابط التالي:
www.lp.gov.lb/doustour/default.htm



«الموحد» الولاء إلا عبر الظاهرة «الحريرية» نسبة إلى تيار الرئيس الراحل رفيق الحريري، وأن تحظى في الوقت نفسه بتأييد قطاعات واسعة في أوساط الطوائف الأخرى في لبنان.(١٦)

فطوال السنوات السابقة شهدت الطائفة السنية زعامات محلية ومناطقية في بيروت، وفي طرابلس وفي صيدا تتنافس في ما بينها من دون أن يقدر أي زعيم على توحيد كل أبناء الطائفة تحت قيادته، أو أن يمد «نفوذه» إلى مناطق الزعيم الآخر، كما شهدت هذه الطائفة ديناميكية حزبية وسياسية واسعة ومتنوعة اتسمت طوال العقود الماضية بطابعها العروبي الإسلامي الذي عبَّرت عنه ظواهر الناصرية، والبعث والقومية، والمقاومة الفلسطينية التي انتمى إليها أبناء هذه الطائفة قبل أن تنشط في داخلها أيضًا «الظاهرة الإسلامية» باتجاهاتها كافة، مثل ما حصل في أكثر من بلد عربي وإسلامي. والطائفة السنية لا تتسم بعصبية انغلاقية تدفعها إلى الدمج بين زعامة العائلة وزعامة الطائفة، فهي ذات امتداد عربي وإسلامي واسع يحقق لها توازنًا «داخليًّا» وحماية طبيعية، خلافًا لطوائف أخرى أقلية تزداد انغلاقًا كلما شعرت بالذوبان في المحيط الأوسع.(١٧)

بعض الخصوم من الطائفة السنيّة والطوائف الأخرى أخذ يحرّض ضدّه تحت عناوين وشعارات مختلفة لما رأى بنفوذه خطرًا متزايدًا سياسيًّا وشعبيًّا، واجتماعيًّا واقتصاديًّا يرفع من دور السنّة، ومن دور لبنان على الخريطة الإقليمية والعالمية.

٢- في الصراع على الصعيد الخارجي:

بعد الاستقرار العسكري السوري في لبنان، التقت المصالح الإقليمية مع طوائف عديدة، خاصّة بين سوريا والطائفة الشيعية؛ لارتباط عضوي مصلحي يتعلّق بأهداف إقليمية ودولية، وقد جاء ذلك أيضًا على حساب الطائفة السنيّة من الناحية الاجتماعية والسياسية، وقد عانى السنّة أثناء الوجود السوري مع شرائح كثيرة من الطيف اللبناني من الآثار السلبية لهذا الوجود، وعلى الرغم من ذلك فقد صبروا، إلاّ أنّ «التجارة» بالطائفة السنيّة -إذا صح التعبير- عادت من جديد مع دخول السوريين في صفقات مع الغرب، وغالبًا ما كان ذلك يتم على حساب أهل السنّة في لبنان، فهي لجأت إلى إلصاق صفة «الإرهاب والأصولية» بأهل السنّة، وكانت من هذا المنطلق تحاول أن تقضي على أيّ نفوذ لهم في لبنان تحت هذه الحُجّة، ومنها عمليات الضنّيّة والعمليات الأخرى في شمال لبنان وعكّار.

وتم لاحقًا استعمال هذا الملف بشكل قوي جدًّا، خاصة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م، ودخول الولايات المتّحدة في ما يسمى «الحرب على الإرهاب»، وقد عمدت سوريا إلى تصوير هذه الطائفة على أنها منبع الإرهاب، وأنّ مكافحتها أمر حيوي للبنان وللعالم، فزجّت سوريا عددًا كبيرًا من الإسلاميين السنّة في السجون، وعذّبت آخرين منهم حتى الموت، وقد استضعفتهم وليس لهم أيّ سند لإخراجهم من محنتهم، كما كانت تفعل بقية الطوائف، وخاصة الشيعية إثر العلاقات المميزة بين ممثليها (حركة أمل وحزب الله) وبين سوريا.

وقد جاء ذلك متماشيًا مع محاولة تحجيم الدور السياسي للمرجعية السنيّة المتمثلة في رفيق الحريري، وتقويض الدور الذي كان يتم من خلاله استرجاع قوّة السنة سياسيًّا واقتصاديًّا، إضافة إلى دورهم الريادي في مقاومة إسرائيل، وهو ما عمل الحريري على تأمينه -بعد استبعاد الطائفة السنيّة عن المشاركة في محاربة إسرائيل قسرًا، إثر الدخول السوري إلى لبنان- وذلك من خلال حماية المقاومة المتمثلة في حزب الله آنذاك (وقبل ارتدادها إلى محاربة اللبنانيين، ولاسيما أهل السنّة في داخل لبنان، وتحولها إلى ميليشيا طائفية وعصابة مغتصبة)(١٨) سياسيًّا ودبلوماسيًّا إقليميًّا ودوليًّا وعلى كافة المنابر.

(١٦) راجع مقال: طلال عتريسي، خلافة الحريري...مهمة عسيرة، إسلام اون لاين.نت، ٢٠٠٥/٣/٣م.
(١٧) المرجع السابق.
(١٨) اعتداءات ٧ آيار التي قام بها حزب الله وميليشياته والأحزاب الموالية له على أهل السنة أهل بيروت.



ثالثًا: التحولات التي طرأت على أهل السنة في لبنان بعد اغتيال الحريري:

تماشيًا مع وصول النفوذ الحريري إلى قمّته في لبنان وخارجه، تم اغتياله بعملية تفجيرية هائلة في وسط بيروت التجاري المكان الذي يمثّل رمزًا لإنجازاته الاقتصادية. لقد شكّل الاغتيال صدمة محليّة وإقليمية وعالمية غير مسبوقة، ووضعت الطائفة السنيّة تحت الأضواء نتيجة تيتّمها، وفقدانها الرمز الذي لطالما كانت تسعى إليه، ما أعاد إليها ذاكرة المؤامرات التي استهدفتها عبر اغتيال رموزها وأعمدتها السياسية والدينية.

واستتبع اغتيال الحريري تراجعًا لوضع الطائفة السنية الذي أعاد إلى الأذهان تراجع وضعها العام منذ سنة ١٩٨٢م أي منذ الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وحتى ما قبل ذلك؛ منذ خروج مصر من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي. فوضع الطائفة السنية كان انعكاسًا دائمًا للواقع العربي، فإذا كان الواقع العربي سيئًا؛ فإنّ وضعها غالبًا يكون سيئًا، وإذا كان الوضع العربي برمته مشرقًا كان الانعكاس على هذه الطائفة مشرقًا، وإذا رجعنا لهذه المراحل منذ استقلال لبنان وحتى اليوم نلاحظ تمامًا أن هذه المعادلة تنطبق على هذا الواقع.(١٩)

من هذا المنطلق، فإن استهداف الرئيس رفيق الحريري كان بالتأكيد استهدافًا للحجم الذي أعطاه في مرحلة معينة للطائفة السنية، ما ترك شعورًا لدى الطائفة بأنها مستهدَفة في الصميم؛ نظرًا لحالة الاستنهاض التي حقّقها رئيس الوزراء الذي تمّ اغتياله لواقع السنّة السياسي في البلاد، فقد كان الرئيس رفيق الحريري على سبيل المثال قادرًا على الاتصال في أيّ ساعة ووقت، أو حتى السفر مباشرة إلى أيّ رئيس دولة كبرى في ساعات قليلة ليكون مجتمعًا به، ويطرح له موضوع لبنان، ويؤثر في القرارات، ويمنع عنه الضرر، وهناك أطراف عديدة كانت متضررة من حجم وقوّة علاقاته الدولية، وتنتقد كبر حجمه أيضًا ليس على الصعيد الخارجي، وإنما الداخلي كذلك.(٢٠)، كما حاول الطرف المعتدي الإيحاء بأنّ المسألة صراع سنّي داخلي، وأنّ الأصوليين السنّة (في سياق صفة الإرهاب التي يريد خصوم الطائفة إلصاقها بها) قد قاموا باغتيال رفيق الحريري.

ويستطيع المراقب أن يلمس عددًا من المتغيرات التي طرأت على الطائفة بعد اغتيال الحريري أبرزها:

١- اشتداد العداء للنظام السوري: لقد صبّ السّنة، في معظمهم، جام غضبهم على النظام السوري، كونه المسئول المباشر عن الأوضاع في لبنان في ظل وجوده العسكري والسياسي الضخم على الأرض اللبنانية، سوء كان هو الطرف الذي اغتال الحريري أم لم يكن. ولطالما صبر السنّة على غيّ النظام السوري في لبنان وظلمه لهم؛ حيث تحمّلوا الويلات كي لا يعملوا على شقّ الصف في مواجهة العدو الإسرائيلي، وكي لا يقال عنهم إنّهم تخلّوا عن العروبة «مع ما في هذه الصفة المنسوبة إلى النظام السوري من مغالطات كبيرة ليس هذا محل نقاشها».

لقد استضعف السوريون الطائفة السنيّة طوال فترة وجودهم في لبنان، وتمّ تدمير مناطقهم، والتلاعب بتمثيلهم والضغط على ممثّليهم، واغتيال كبار قادتهم.

بعد اغتيال الحريري، شعر السنّة بأنّهم طُعِنوا في الظهر، بعد أن تحملوا طوال السنوات الماضية تبعات الوجود السوري الذي أتى على حسابهم بشكل خاص، وعلى حساب لبنان ككل. لكن ذلك لا يعني أنّ السنّة تناسوا العدو الصهيوني، كما حاول البعض أن يصوّر؛ وذلك لامتصاص النقمة على النظام السوري، وتحويل الطائفة السنيّة إلى موقف الدفاع عن النفس في ظل الاتهامات لها.

٢- ازدياد قاعدة تيار المستقبل السنية: وذلك كردة

(١٩) تقرير عن السنّة في برنامج بانوراما على فضائية العربية، مرجع سابق.

(٢٠) نفس المرجع السابق.

المتغيرات التي طرأت على الطائفة السنية بعد اغتيال الحريري

اشتداد العداء للنظام السوري.

ازدياد قاعدة تيار المستقبل السنية.

ازدياد الوعي بعدم التفريط بالحقوق.

الالتفاف حول مركز رئيس الوزراء كمرجعية سياسية.

إيلاء اهتمام أكبر بموقع مفتي الجمهورية.



فعل على الاغتيال، حيث بدا واضحًا تحول عدد من المناصرين إلى التشدد في تأييد «تيار المستقبل» كممثّل للسنّة؛ نظرًا لعدم وجود ممثل حقيقي ذو تمثيل واسع إثر تشرذم القوى السنيّة الأخرى الوطنية والإسلامية، وتضارب الأجندات والأهداف.

٣- ازدياد الوعي بعدم التفريط بالحقوق: إذ إنّ السنّة عادة ما كانوا يتجاهلون المطالبة بحقوقهم السياسية والاجتماعية والأمنية، طالما أنّ ذلك كان في مصلحة الوطن بالعموم، لكن تبيّن بعد الأحداث الأخيرة أنّهم أخطأوا في ذلك لدرجة أدّت إلى استباحتهم، كما حصل من قِبَل «حزب الله» الذي احتلّ بيروت بالقوة العسكرية فارضًا ما يراه مناسبًا عليها وعلى أهلها.

٤- الالتفاف حول مركز رئيس الوزراء كمرجعية سياسية: متمثّلة بحكومة الرئيس فؤاد السنيورة. وبدا الاتجاه نحو التصلب بالدفاع عن مركز رئيس مجلس الوزراء كممثل سياسي للسنّة؛ كردّة فعل على تعدّي الطوائف الأخرى على هذا المركز، في محاولة لاستضعاف الطائفة السنيّة بعد اغتيال الحريري، خاصة من قِبَل «حزب الله» الذي ما فتئ يطالب ويعمل على إسقاط ممثل السنّة السياسي بدعوى الخيانة والعمالة لإسرائيل وأمريكا[٢١]، إلى جانب ميشيل عون زعيم التيار الوطني الحر، وحليف حزب الله الأساسي، الذي توافق مع حزب الله على مهاجمة مراكز القرار السنيّة، وفي طليعتها رئاسة الحكومة التي يُكِنّ لها حقدًا كبيرًا على اعتبار أنّ مركز رئيس الحكومة السنّي قد حرم موقع رئاسة الجمهورية المارونية من العديد من الصلاحيات بعض اتّفاق الطائف.[٢٢]

٥- إيلاء اهتمام أكبر بموقع مفتي الجمهورية، لقد بدأ الاهتمام بمركز المفتي يقِلّ شعبيًّا منذ اغتيال المفتي الشهير الشهيد حسن خالد الذي لم يحظَ أحد من أقرانه بالشعبية الكبيرة التي حظي بها، والتي أدّت إلى اغتياله غدرًا عندما أصبح يشكّل خطرًا في استنهاض الطائفة السنية ودورها التاريخي سياسيًّا ودينيًّا. ومن أسباب فقدان الاهتمام أنّ المفتي، وبسبب طبيعة مركزه

(٢١) اليوم هم مشاركون في هذه الحكومة التي يرأسها فؤاد السنيورة، كما كانوا مشاركين من قبل!!! فكيف يستوي الكلام عن عميل يرأسهم في مجلس الوزراء؟!

(٢٢) انظر الجدول السابق بالتعديلات التي أدخلت على صلاحيات رئيس الجمهورية الماروني ورئيس الوزراء السنيّ بعد اتفاق الطائف.



الشـمولية «كمُفْتٍ للجمهورية»، أصبح عليه أن يعبّر عن توجه شمولي عمومي، وأن يبدو متسـامحًا مع الآخرين، وبالتالي أن يصبـح دوره مطّاطًا، وفي كثير من الأحيان يضطـره إلى عـدم الدفاع عـن مصالح الطائفة السـنيّة حفاظًـا علـى رمزية المركز الذي يمثلـه، وخوفًا من أن يتّهم أيضًا بالتعصب والطائفية.

لكـنّ الأحـداث التي تلـت اغتيال التمثيل السياسـي للسنّة «عبر تفجير موكب الحريري» وما تلاه من تهجّم علـى التمثيـل الديني للسـنّة، ومهاجمة المفتي مـن قِبَل الطوائف الأخرى لاسـيما الشيعية «حزب الله، وحركة أمل» وبعض المرتزقة الذين وظّفوهم لضرب هذا التمثيل، واختراقه لصالحهم -وعلى رأسـهم الداعية فتحي يكن الذي كان يقود مشروع حزب الله الإيراني باسم السنّة، وحصلت انشـقاقات كثيرة داخل صفوف جبهته «جبهة العمل الإسـلامي».

وأعلـن عدد من قادة الجبهة التي يرأسـها انشـقاقهم عنـه؛ بعدما اكتشـفوا الدور الخبيث الـذي يقوم به في خدمـة حـزب الله، ومشـروع إيران الخارجـي، وضرب وحدة الصف السني [٢٣] - أدّت إلى رد فعل عكسي عند القيادة الدينية وحتى لدى الأوسـاط الشعبية السنيّة، في رفـض التعدي على المقام الديـني، وضرورة الرجوع إليه وإلى القيادة السياسية فيما يخصّ أمور الطائفة المصيرية في لبنان.

(٢٣) وصف المنشـقون في بيان لهم قيادة جبهة العمل بأنها «لم تكن أكثر مـن واجهة لتجميع الشـباب لصالح (حزب الله) في الشـارع السـنّي»، ولفتوا إلى تنظيم عمليات تدريب وإعداد وتعبئة، خاضعة بشكل مباشر لـ«حـزب الله» والحـرس الثـوري الإيرانـي، في النبي شـيت في البقاع، وفي إيـران لتعبئة الشـباب ضـد كل من يخالف توجهـات «حزب الله» والنظامـين السـوري والإيراني إلى درجة التكفـير والإقصاء والإلغاء». وكشـفوا، في مؤتمر صحافي، أن قيـادة الجبهة «وضعت حوافز مالية لكل من نجح في افتعال إشـكال، ويـبرز قدرته على مواجهة قوى ١٤ آذار، ويتمكن من فرض الأمر الواقع في الشـوارع والأحياء». واستغلت حب الشـباب السنّي لمقاتلة إسـرائيل، فقامت بتجنيدهم للتدريب لكن تبـيّن أن الهدف كان مقاتلة السـنّة للسـنّة في الداخـل، وفوجئنا بهذه الخدعـة الكبـيرة. انظر البيان المتلفز للمنشـقين، ونصّـه في صحيفة المسـتقبل- الخميـس ٢٧ آذار ٢٠٠٨م - العدد ٢٩١٥ - شـئون لبنانية - صفحة ٦، على الرابط التالي:
www.almustaqbal.com/stories.aspx?StoryID=281791

رابعًا: عناصر الضعف والقوة لدى أهل السنة في لبنان:

مما سـبق نسـتطيع أن نلاحظ أن ثمّة عوامل تتّسم بها الطائفة السنية في لبنان من بينها:

أ- عناصر الضعف وتتمثل بـ:

١- تعـدد الـولاءات وتبعثـر القوى: حيـث يلاحظ أنّ الطائفة السـنيّة لطالمـا كانت لا مركزيـة في انتمائها السياسـي والديني، وعلى الرغم مـن أنّ ذلك يتيح حالة مـن التنوع والتعددية الإيجابية داخل الطائفة؛ إلاّ أنّه يُعدّ مظهـر ضعف في مجتمـع طوائفي متصلّب، لا يعني ذلك أننا ندعو إلى تصعب طائفي، لكن الضربات والطعنات التي تعرّضت لها الطائفة السـنيّة من الطوائف الأخرى، والاسـتفزازات الـتي خضعت لهـا أيضًا دفعتهـا في هذا الاتجـاه، مما جعلها تبحث عن شـخص محوري يمثّلها، ويحفـظ لها حقوقها، ويسـتعيد لها هيبتهـا في بلد تغلب عليه الزعامة الطائفية للطوائف.

٢- إهمال الواقع الاجتماعي ومناطق التوزيع الجغرافي: إذ يلاحـظ في هذا الإطار أنّ السـنة ينتشـرون بشـكل كثيـف في ثـلاث مـدن سـاحلية هـي: صيـدا وبيروت وطرابلـس تمثّـل أكبر ثلاث مدن في لبنـان. وتضم هذه المدن مـن مختلف الطوائف كدليل علـى الانفتاح الذي تتيحه الطائفة السـنيّة في أماكـن تركّزها، وهو دليل علـى تعزيزها ثقافـة التعايش والوحـدة والأخوة، لكنّ هذه المفاهيم تمّ اسـتغلالها بشـكل بشـع جـدًّا من قبل بعض الطوائف لاسـيما الشـيعية؛ حيـث باتت الطوائف الأخرى تزحف بشريًّا واقتصاديًّا، واجتماعيًّا مع عاداتها وتقاليدها وسلاحها أيضًا في كثير من الأحيان، جاعلين من «أهل البيت» رهينة يتم صلبها عند كل عملية ابتزاز سياسية أو دينية محلية أو خارجية تقوم بها هذه الطائفة أو تلـك. واحتلال بـيروت من قِبَل «حـزب الله»، وتوابعه من حركـة أمل، والقومي السـوري، والبعثي ومن وقف معهـم، وتهديـد أهلها بالسـلاح، لَخَيْر مثـال على هذا الكلام، بل حتى وصل الأمر أن يشـعر السنّة وكأنهم غرباء في مناطقهم.



٣- انعدام وسائل الدفاع عن النفس: على الرغم من أنّ السنّة يؤمنون بمشروع الدولة اللبنانية التي تحمي الجميع، والتي لا يعلو عليها وعلى سلاحها أحد، لكنّ الوضع أمسى خطيرًا جدًّا في ظل بعض الدويلات المنتشرة على الأرض اللبنانية، وأشهرها «دولة حزب الله». لا يعني ذلك دعوة للتسلح، لكن أخذ الحيطة والحذر مطلوب، والإصرار على مشروع الدولة وحصرية سلاحها يشكّل مخرجًا ممتازًا لهذا الوضع؛ حيث يجب التركيز. لكنّ تفسير عدوان ٧ آيار الذي قام به حزب الله على أهالي بيروت يجب أن لا يتم صرفه في إطار إظهار أنّ الطائفة السنيّة ضعيفة وغير قادرة عن الدفاع عن نفسها، وإنما يجب أن يصبّ في خانة الخيار الأول الذي تحدّثنا عنه وهو مشروع الدولة اللبنانية وحصرية سلاحها؛ لأن ما حصل في ٧ آيار كشف الوجه الحقيقي لحزب الله داخليًّا وعرّاه تمامًا، ولو استخدم السنّة سلاحًا «وهم لا يملكون أصلاً» لكان الوضع تغيّر وضاعت المسئولية، وشكّلت عذرًا جيدًا لحزب الله وتوابعه بالتهرب من المسئولية عمّا جرى. إذ لطالما أتحفنا المؤيدون لحزب الله بأنّه لم يستخدم سلاحه نحو الداخل، لكن هذه المرّة استخدمه أبشع استخدام ضد الأهالي العُزّل والنساء والشيوخ في محاولة لقطف ثمار سياسية، وتسجيل نقاط على حساب أهل السنّة!!

٤- قابلية الاختراق والانجرار: إذ أثبتت مجريات الأحداث خاصة خلال العقود الأخيرة أنّ السنّة أكثر قابلية للاختراق، على كافة المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ذلك أنّ العديد من الجهات تستغل سمات التسامح، والانفتاح والتعاون الذي يبديه السنّة تجاه غيرهم من الطوائف والمجموعات، كما يتم استغلال كراهيتهم لإسرائيل وقدسية القضية الفلسطينية في قلوبهم لدفعهم باتجاه خاطئ، والانجرار وراء زعامات خبيثة ومشاريع إقليمية مشبوهة.

وعلى سبيل المثال، فقد استطاع حزب الله بعد اغتيال الحريري أن يقسم السنّة سياسيًّا بين موالٍ ومعارض؛ لخدمة أغراضه ومشاريعه الخاصة تحت شعارات مختلفة، وعبر استمالة بعض الزعامات السياسية السنيّة، وأبرزهم عمر كرامي. وقد شقّ هذا الموقف صفوف السنّة وشرذمهم، وزرع الخلاف فيما بينهم، وضرب تمثيلهم السياسي الرسمي الذي يعكسه موقع رئيس الحكومة، حيث بدا واضحًا أنّ الغاية من ذلك تكمن في ضرب وحدتهم، وإضعافهم واستغلالهم، وكانت النتيجة أن استُضعِف السنّة، وتمّ الهجوم عليهم بالسلاح على امتداد الساحة اللبنانية، وحتى في معاقلهم في بيروت على وجه التحديد وغيرها من المناطق. وكانت النتيجة أن تمّ استعمال كرامي، وعندما انتهى الدور الذي كان مطلوبًا منه لم نعد نسمع باسمه إلاّ نادرًا، وقد تمّ استبعاده من محور التجمعات واللقاءات التي تجري بين صفوف المعارضة خاصة.[٢٤]

أثبتت مجريات الأحداث، خاصة خلال العقود الأخيرة، أنّ السنّة أكثر قابلية للاختراق، على كافة المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية

كما استخدم حزب الله الجناح الإسلامي لدى أهل السنّة، فحاول بداية عزل «الجماعة الإسلامية» عن محيطها، وضمان حيادها على الأقل تحت شعار محاربة إسرائيل، ثمّ استمال بعد ذلك فتحي يكن وجبهة العمل الإسلامي التي يرأسها لتعميق الانقسام السنّي الداخلي. كما سعى حزب الله بعد اعتدائه على السنّة في ٧ آيار لعقد عدد من المصالحات المحليّة لتفادي إعادة اللُحمة إلى الصف السّني من جهة، وللإيحاء بأنّ السنّة لا يعتبرون أن ما جرى من قِبَل حزب الله يمثّل اعتداءً عليهم، وللالتفاف عن تقديم اعتذر صريح واضح إلى أهل بيروت وطرابلس وإلى المرجعيات السنيّة السياسية والدينية، حتى لو اضطره ذلك إلى عقد اتفاقية مع

(٢٤) لمزيد من التفاصيل حول كيفية استخدام المعارضة اللبنانية، وتحديدًا حزب الله لورقة «السنّة المتمثلة بعمر كرامي» لبعثرة وحدة الصف السني، ومن ثمّ الاستغناء عنه، انظر تقرير: «لبنان: رسائل سورية قاسية إلى المعارضين السنة... وكرامي يعتكف»، صحيفة السياسة الكويتية، على الرابط التالي:
http://www.dar-al-seyassah.com/news_details.asp?nid=20262&snapt=تقارير



أطراف سلفية لطالما تفنن في الطعن بها وتكفيرها ووصمها بالإرهاب، حيث وقّع حزب الله اتفاقية مع «جمعية التراث الإسلامي» في ١٨ آب ٢٠٠٨م [٢٥]، وهي جمعية خدماتية سلفية ليس لها أي وزن شعبي في الجانب السني، وعلى الرغم من ذلك فقد سقط الاتفاق في غضون يوم؛ لأنّ غايته الاختراقية والالتفافية كانت واضحة للعيان.[٢٦]

عناصر القوة الآخذة في التشكل:

١- نحو محورية التمثيل: الخطر الداهم الذي تتعرّض له الطائفة السنّية في لبنان من استقواء الآخرين، وتطاولهم عليها وعلى رموزها، وعلى موقعها التمثيلي السياسي والديني عمل على دفع الشريحة الأكبر منها إلى التكاتف والالتفاف، رغم المرارة والإحساس بالقهر الذي تعرّضت له، ورغم دفع العديد من أبنائها إلى المطالبة بالسلاح للحماية الذاتية على الأقل، والدفاع عن النفس.

لكن ربما كان الآخرون يريدون من الطائفة السنيّة أن تتحوّل إلى «كانتون» عصبي عسكري، حتى يبرروا «كانتوناتهم» هم ويشرعنوها تحت عنوان إنّ «السنة لديهم أيضًا كانتون»، ولديهم سلاح.

ومن الأفخاخ التي يحاول البعض نصبها للطائفة السنيّة أيضًا، دفعها نحو التعصب الديني لتبرير التدخل ضدّها بالقوة، سواء بإحداث فتنة بينها وبين الجيش اللبناني والطوائف اللبنانية، أو من خلال تسويق أو تبرير تدخّل خارجي ضدّها سوري أو أمريكي، تحت حجّة مكافحة الإرهاب والأصولية، وبالتالي تحويل الأنظار عن القضية المركزية المتعلّقة بهم، ونقل المشكلة إلى الطائفة السنيّة.

لكنّ الواضح أنّ الأغلبية الدينية السنيّة بكافة شرائحها، حتى التي كانت توصف من قبل البعض بالمتطرفة، أظهرت وعيًا مثيرًا للإعجاب وتفهمًا لخطّة الإيقاع بها، فراحت تبدي انفتاحًا كبيرًا واعتدالاً أكبر، وحتى تضامنًا مع المرجعية السياسية السنيّة «غير الدينية»، وذلك لتفويت الفرصة على المخطط الجهنمي المحاك ضدّها بشكل عام، وضدّ السنّة بشكل خاص.

٢- تغليب المصير المشترك: هناك إحساس جماعي بتغليب المصير المشترك تظهره تطورات الأحداث، وهناك وعي جماعي أيضًا من مختلف الشرائح السنيّة بعدد وحجم المؤامرات التي تُحاك لها، وقد ساهم هذا الوعي المرتفع في الفترة الأخيرة في تكاتف جميع أطياف الطائفة من مستقلّين وإسلاميين وليبراليين، لتفويت الفرصة على من يريد إحداث الانشقاق، والاستفادة منه.

خاتمة:

يواجه السنّة في المرحلة المقبلة تحدّيات جِسام ليس أقلّها اتساع دائرة الخطر التي تمثّلها على الصعيد الداخلي بعض القوى والأحزاب والطوائف؛ التي تعمل على العبث بمصير ومقدّرات أهل السنّة والجماعة تحت شعارات متعدّدة ومختلفة، وبكافة الوسائل الإعلامية والمالية والتنظيمية، وحتى بالقوة العسكرية والسلاح، وهم يحتاجون إلى تعزيز وعيهم بهذا الخطر، والعمل على احتوائه على الأقل من خلال التركيز على وحدتهم، وتكاتفهم وتضامنهم، وعلى مَنَعَتهم الداخلية، بغضّ النظر عن الحسابات الضيّقة الشخصية أو الحزبية أو المناطقية، وأن يشددوا أيضًا على مفهوم الدولة والقانون، وعلى سلاح الدولة، وأن لا أحد يعلو فوق هذه الدولة، وأن يشاركوا في تحقيق هذا المفهوم الذي يريد البعض في لبنان ضربه وتسويفه لإبقاء المصالح العليا له قائمة، وعليه فإنّ الانتخابات النيابية المقبلة سيكون لها كلمة في الدفع باتجاه تحقيق هذه الأجندة أو عرقلتها، لا سمح الله.

(٢٥) راجع نص الاتفاقية: www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1218650325684&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

(٢٦) انظر للتفاصيل: تجميد وثيقة التفاهم بين بعض الجمعيات السلفية وحزب الله: www.aljazeera.net/NR/exeres/1BEFA9A8-F8A04357--A89B-7770F0C5822D.htm



وعلى السنّة أن يحضّروا أنفسهم من الآن لخوض هذه الانتخابات بشراسة، فهم يشكّلون قوة انتخابية كبيرة تستطيع تغيير المعادلات عبر السياسة، ولهذا نرى اليوم أنّ بعض الأطراف المعروفة في لبنان تحاول إشعال الفتن والاقتتال والحروب في المناطق السنّية داخل لبنان، وإبقاء وضعها متوترًا حتى الانتخابات المقبلة العام القادم؛ لضرب وتشتيت ما يمكن أن تفرزه هذه الانتخابات في حال عمّ الاستقرار والوحدة في هذه المناطق.

كما يجب عليهم عدم الانجرار إلى التطرف، وأن لا يسبب ما حصل لهم في ٧ آيار إثر احتلال «حزب الله» لمناطقهم عقدة ضعف، وأن ينظروا إلى الجانب الإيجابي الذي تحقق في هذا الإطار، والذي تحدثنا عنه سابقًا، وأن يفوّتوا الفرصة على من يريد تشتيت الأنظار عنه، وتحويلها إلى السنّة بداعي وجود متطرفين أو متعصبين لصرف هذا الرصيد في الحرب على الإرهاب، وإدخال السنّة في معارك داخلية مع بعضهم البعض بين متطرّف ومعتدل، أو بين السنّة والجيش اللبناني، أو حتى استجلاب تدخلات خارجية، أو دولية لمحاربتهم.



معلومات إضافية

نموذج لمحاولات اختراق السنة في لبنان

في مارس ٢٠٠٨م أعلنت مجموعة من العناصر والكوادر القيادية في «جبهة العمل الإسلامي» في لبنان عن تكوين «هيئة الطوارئ» برئاسة الشيخ «سيف الدين الحسامي»؛ لتكشف النقاب عن حقائق خطيرة حول المحاولات المستمرة لاختراق السنة في لبنان من قبل جماعات أخرى، واستغلال عناصر الجبهة لصالح توجهات إيرانية وشيعية متمثلة في حليف طهران في لبنان «حزب الله».

ففي الثامن من مارس ٢٠٠٨م أصدرت الهيئة أولى بياناتها، وجاء فيه: إنه «بعد محاولات متواصلة داخل جبهة العمل الإسلامي، وبعد اتضاح الكثير من الثغرات الخطرة التي حوّلت الجبهة إلى واجهة للاستغلال والاختراق لساحتنا الإسلامية، ومع انكشاف الموقف الحقيقي لقيادة هذه الجبهة من قضية المقاومة، وتعمدها توريط الشباب المسلم في أعمال ذات صبغة عسكرية وأمنية أبعد ما تكون عن نُبْل المقاومة وسموّها.

ومع اتساع شُقّة الخلاف داخل مواقع القرار للجبهة على خلفيات تنافسية ومالية انعكست بشكل فاضح على أداء الجبهة، وحولتها إلى وسيلة ارتزاق سياسية للمتصدرين، المتاجرين بتمسك الشباب بالفكرة الإسلامية والتوق إلى المقاومة والجهاد، ومع قناعاتنا بأن الأهداف التي سعينا إليها منذ اللحظة الأولى لتأسيس جبهة العمل الإسلامي هي أهداف سامية تستحق التضحية لأجلها.

بناء على ما تقدم، قررت مجموعة العمل والكوادر القيادية في جبهة العمل الإسلامي في طرابلس والشمال إعلان قيام هيئة الطوارئ رفضًا للاستغلال والتجيير المسيء للعمل الإسلامي، ورفضًا للاختراق الإيراني في طرابلس بعمقها الإسلامي وتاريخها الحضاري وامتدادها النضالي المتواصل».

ولم يمر وقت طويل حتى أعلنت مجموعة جديدة من عناصر وكوادر الجبهة في ٢٦ مارس ٢٠٠٨م عن انضمامها إلى هيئة الطوارئ في الجبهة، لتشكيل فريق واحد للتصدي للاختراقات الخطرة التي يتم زرعها باسم العمل الإسلامي.

وأصدرت المجموعة الجديدة بيانًا خطيرًا احتوى على المزيد من المعلومات حول الاختراقات الشيعية للسنة في لبنان، وجاء في البيان: «انطلاقًا من تاريخنا في العمل الإسلامي منذ الأيام الأولى لقيام حركة التوحيد الإسلامي، وهو تاريخ يعرفه من دفعتنا أخطاؤهم المتواصلة إلى اتخاذ الموقف النهائي والحاسم مما يجري على الساحة الإسلامية..

فمنذ اللحظة الأولى لقيام «جبهة العمل الإسلامي» كانت أهدافنا منصبّة على طموح واحد، هو تحقق حلمنا في الجهاد ضد العدو الإسرائيلي، ونصرة شعب فلسطين، وتقوية واقع أهل السنّة والجماعة في لبنان.

كان حلمنا أن نحظى بفرصة لتقديم نموذج إيجابي للعمل الإسلامي؛ لاعتقادنا أن الذين خاضوا التجارب، ووقعوا في المصائب قد تعلموا من التجربة واستخلصوا العِبر، وأوقفوا المغامرات، وغادروا ساحات التفريط بالمصير والمصالح الإسلامية.

ولأن الشباب المسلم توّاق إلى ساحة الجهاد لمنازلة العدو الصهيوني، أقبلنا على دورات التدريب العسكري التي



أفهمتنا قيادة «جبهة العمل» أنها أنشأتها لهذه الغاية، لكننا فوجئنا بخدعة كبرى تجسّدت في النواحي الآتية:

١- اتضح أن «جبهة العمل الإسلامي» لم تكن أكثر من واجهة لتجميع الشباب لصالح «حزب الله» في الشارع السنّي، في حين أن كل عمليات التدريب والإعداد والتعبئة كانت خاضعة بشكل مباشر لـ«حزب الله» وللحرس الثوري الإيراني، مع الإشارة هنا إلى أن هناك نوعين من الدورات العسكرية:

- النوع الأول: يجري في البقاع في محيط بلدة النبي شيت والجبال المحيطة بها، وهي عبارة عن معسكرات كثيرة منتشرة ومموّهة بشكل متقن؛ حيث يبدو أن استصلاح الأراضي هو الوسيلة الأكثر استعمالاً في تلك المنطقة، وفي هذه المعسكرات يخضع أنصار قوى المعارضة المختلفة لتدريبات تستمر في الغالب أسبوعًا.

- النوع الثاني من الدورات هو ذلك الذي يتم في إيران، ويبدو من خلال المتابعة أن الدورات في البقاع تشكل عملية تحضير وغربلة للكوادر المؤهلة لاستكمال المراحل اللاحقة من التدريب العسكري والأمني.

وقد ظهرت مقاصد وأهداف هذه الدورات التدريبية من خلال تعبئة الشباب ضد كل مَن يخالف توجهات «حزب الله» والنظامين السوري والإيراني، إلى درجة التكفير والإقصاء والإلغاء، وكان الخطاب الأسهل اعتبار كل المخالفين أدوات أمريكية وإسرائيلية، وكان أخطر ما واجهناه هو مرحلة ما بعد التدريب والعودة إلى طرابلس؛ لأنها شكّلت الصدمة الكبرى بالنسبة إلينا، فخلال مراحل التوتر بين قوى ١٤ آذار وتحالف ٨ آذار، كانت الأوامر تصدر من قيادة «جبهة العمل الإسلامي» بضرورة النزول إلى الشارع واستعمال كل الوسائل المتاحة لخدمة أغراض حزب الله وأهدافه.

٢- لقد بلغ التحريض مراحل في غاية الخطورة، إلى درجة وضعت معها قيادة «جبهة العمل» حوافز مالية لكل مَن ينجح في افتعال إشكال، ويبرز قدرته على مواجهة الطرف الآخر، ويتمكن من فرض الأمر الواقع في الشوارع والأحياء.

وهكذا وجدنا أنفسنا ننزلق خطوة بعد أخرى نحو إشعال صراع سني- سني؛ لصالح النظامين السوري والإيراني، يحرق مناطقنا، ويخرق ساحتنا ويستهدف مرجعياتنا الدينية والسياسية.

- لقد جاءنا الشيخ فتحي يكن بنظرية يعتبر فيها أن رأس بلاد الشام التي تحدث عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو النظام السوري، ورأس النظام السوري بشار الأسد، لذلك لا بد لنا أن يكون العمق الاستراتيجي في سوريا. ومن خلال التدريبات التي أقيمت لشبابنا في معسكرات حزب الله في منطقة البقاع في النبي شيت، وبعد انتهاء التدريبات كان الموجهون في الحزب يقولون لنا: نحن نحمي الجنوب من العدو الإسرائيلي، وأنتم عليكم حماية الداخل اللبناني بقتال عملاء اليهود في الشمال.

وإذا دققنا في حلفاء حزب الله في طرابلس والشمال نجد أن حلفاءهم هم الذين ارتكبوا المجازر في التبانة خاصة، وفي طرابلس عامة. وتبين لنا أنهم يريدون تجنيد الشباب المسلم السني لقتال أهلنا وإخوتنا وضرب الحاضنة التي ننتمي إليها.

وإذا دققنا في المنشورات والكتب التي تُوزّع على الشباب المنتمين إلى جبهة العمل الإسلامي نجد أنها تدعو إلى عصمة الأشخاص، مع أن العصمة للأنبياء فقط.



وإذا دققنا في التدريب في إيران، نتساءل هل التدريب لنكون جزءًا من مشروع الممانعة، وكيف نكون جزءًا من الممانعة وإيران تتعامل مع أمريكا في العراق وأفغانستان، والنظام السوري يفتح المفاوضات مع العدو الصهيوني سرًّا وعلانية، ثم نجدهم بعد ذلك يتحدثون عن الممانعة في لبنان!!

- بناء على ما تقدم نعلن رفضنا لتوجهات قيادة «جبهة العمل الإسلامي»، ونعلن أننا سنشكل مع إخواننا في هيئة الطوارئ فريقًا واحدًا للتصدي لهذه الاختراقات الخطرة التي يتم زرعها باسم العمل الإسلامي.

ومن هنا ندعو كل الشباب المغرَّر بهم إلى الخروج من دائرة خدمة أهداف أعداء أمتنا الإسلامية، وأن ينضموا إلى مسيرتنا الإصلاحية في إطار «جبهة العمل الإسلامي- هيئة الطوارئ»، مؤكدين التزامنا مبادئ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وحدة الصف، ورفض الفتن وحفظ دماء المسلمين، ورفض التكفير.

كما نعلن تمسكنا بالسلم الأهلي في لبنان، وبالوحدة الوطنية، ورفض كل مظاهر السلاح خارج نطاق مؤسسات الدولة، وندعو إلى وضع استراتيجية وطنية للتصدي للتحديات الصهيونية، بالتنسيق مع الجيش اللبناني، وصولاً إلى قيام دولة العدل والحرية والمساواة والتنمية».

المصدر:

- صحيفة المستقبل اللبنانية، العدد ٢٩١٥، بتاريخ ٢٧ /٢٠٠٨/٣م، انظر :

http://www.almustaqbal.com/stories.aspx?StoryID=281791

- صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٠٦٩٥، بتاريخ ١٠ /٢٠٠٨/٣م، انظر:

http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=4&issueno=10695&article=462039&feature